# المصورون

اشتغل العرب بالتصوير كما اشتغلوا بغيره من الفنون ؛ فكان لهم فيه الأثر الطيب فى حضارتهم الأولى اليمنية ، على ما يستخلص من أخبارهم ، ويدل عليه النزر المنتجَث من آثارهم* ، ثم بقيت فيهم أثارة منه قبل الإسلام وبعده فحاكوا برود العَصْب والستور والأنماط المصورة ، ونحتوا الأصنام وصوروا الجدران ، وآلات القتال ، وإن لم يفصح التاريخ عن مبلغ إجادتهم للفن فى هذه الفترة ، فلما استبحروا فى الحضارة الإسلامية ، وملكوا ناصية العلم بعدما ملكوا ناصية العالم ، ظهر منهم مصورون مجيدون تجلت مقدرتهم الفنيَّةفى المرويّ من أخبارهم ، كما ستقف عليه عند سرد أسمائهم . ولم يهمل كثير من المؤرخين تراجمهم فيما وضعوه من كتب التراجم العامة ، ولكنها جاءت منثورة فيها لا يهتدى إليها إلا بالمصادفات . وخصهم بعض المؤرّخين بطبقات كما خصوا غيرهم من ذوى الفنون كعلماء الطب والكيمياء والهندسة وأولى الصنائع العجيبة والمولدين لفنون الأعمال وغيرهم من المشتغلين بفنون اللهو والخلاعة كالمغنّين والضاربين على الآلات والرقاصين والمشعوذين والمخايلين† سوى البارعين فى الألعاب الخارجة عن هذه الفنون كلُعّاب الشطرنج والنرد والمقامرين حتى بلغت أنواع الطبقات الخاصة أربعين نوعاً ، يتفرع من كل نوع أنواع ؛ على ما ذكره الذهبى والسخاوىّ . غير أن تقهقر العلم بالمشرق بعد ذلك ، وقصر الاشتغال على فروع منه كان من أشد النكبات بعد نكبتى دجلة والأندلس على ما أُلف فى سائر فروعه ولا سيّما التاريخ ، فلم يصلنا من أنواع الطبقات الأربعين وما تفرع منها إلا ما له صلة بفروع العلم الباقية ، وهو أيضاً غيض من فيض مما ألف فيها . فليس بمستغرب ألا يبلغنا من طبقات المصورين سوى اسم كتاب واحد ، وهو المنعوت « بضوء النبراس وأنس

---

(*) متى أتيح لليمن ما أتيح لغيرها من التنقيب ، فسيكشف البحث فيما نعتقد عن آثار مدنية هائلة زاهرة بالفنون تضارع المدنية المصرية ، إن لم تفضلها .

(†) هم اللاعبون بخيال الظل .

الجلّاس فى أخبار المزوّقين من الناس » الذى ذكره المقريزى فى « خططه »[٣٤٢] ، ونقل عنه المعجب المدهش من أعمال بعضهم .

وذكر ابن النديم فى ثَبَت « كتاب الفهرست » الموجود بمقدّمته أن الفن الأول من المقالة الثامنة فى أخبار المسامرين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات ، ومراده بالمخرفين واضعوا القصص . ولكنه لم يذكر شيئاً عن المصورين فى هذا الموضع من الكتاب . ولا يبعد أن يكون كلامه عنهم سقط من النسخة كما سقطت عدة تراجم للمتكلمين من أول المقالة الخامسة ، ثم عثر عليها بعض علماء المشرقيات فى إحدى النسخ المخطوطة ونشرها فى مجلة ألمانية[٣٤٣] . هذا إذا لم يكن أراد بالمصورين غير ما نفهمه ، أو يكون اللفظ محرّفا فى النسخة .

و بعد فبين أيدينا من الأدلة على اشتغالهم به فى الصدر الأول ، غير ما تقدم فى فصول الكتاب ، ما رواه الإمام البخارىّ فى باب بيع التصاوير من كتاب البيوع عن سعيد بن أبى الحسن أنه قال : « كنت عند ابن عباس — رضى الله عنهما — إذ أتاه رجل فقال : « يا أبا عباس ! إنى إنسان إنما معيشتى من صنعة يدى ، وإنى أصنع هذه التصاوير . » فقال ابن عباس : « لاأحدثك إلا ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبداً ، فرَبا * الرجل ربوة شديدة ، واصفرّ وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر ، كل شىء ليس فيه روح . »

وفى باب التصاوير من « صحيح البخارى » أيضاً عن أبى زُرعة أنه قال : « دخلت مع أبى هُريرة داراً بالمدينة فرأى أعلاها مصوّرًا يصوِّر . » إلى آخر ماجاء فى الحديث ، والدار دار مروان بن الحَكَم ، وقيل سعيد بن العاص ، ولم يقف الحافظ ابن حجر على اسم هذا المصور ، كما ذكر فى « فتح البارى » .

وقد تقدم فى فصل تماثيل الحلوى ما نقله الحافظ المذكور عن القرطبى من أن عرب

---

(*) رَبَا أى انتفخ وأصابه نَفَس فى جوفه ، وقيل ذعر وامتلأ خوفاً .

الجاهلية كانوا يصنعون أصنامهم من كل شيء ، وسيأتى فى أسماء المصورين خبر « أبى تجزأة » وصنعه للأصنام فى الجاهلية .

ومن الأدلة على اشتغالهم بعد ذلك ما يذكر عرضاً من أخبار المصورين فى القصص والنوادر الأدبية كقصة الجاحظ مع المرأة التى طلبت من الصائغ أن يصوغ لها صورة الشيطان ، فلما سألها مثالا يحتذى عليه ، ذهبت وأتته بالجاحظ ، وقالت مثل هذا (٣٤٤) ، ثم انصرفت ؛ والقصة مشهورة .

وفى «ثمرات الأوراق» لابن حجَّة عن الجاحظ أنه حكى عن فتى من أصحاب الحديث قال : دخلت ديراً فى بعض المنازل لما ذكر لى أن به راهباً حسن المعرفة بالناس وأيامهم ، فصرت له لأسمع كلامه ، فوجدته فى حجرة معتزلة بالدير ، وهو على أحسن هيئة فى زى المسلمين ، فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا ، فسألت عن سبب إسلامه ، فحدثنى أن جارية من بنات الروم كانت فى الدير نصرانية كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال ، فأحبت غلاماً مسلماً خيّاطاً ، وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت إليها ، وامتنع عن المرور بالدير ، فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهراً فى التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ، ففعل المصور ، فلم تخطئ الصورة شيئاً منه غير النطق ، وأتى بها الى الجارية ، فلما أبصرتها أغمى عليها ، فلما أفاقت أعطت المصوّر مائة دينار أخرى ، وأخرج الراهب لى الصورة ، فرأيتها ، فكاد أن يزل عقلى ، فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها إلى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتى الصورة وتقبّلها ، وتلثم ما تحب منها ، ثم تجلس بين يديها وتبكى ، فإذا أمست قبلتها وانصرفت ، فما زالت على تلك الحال شهراً ، فمرض الغلام ومات ، فعملت الجارية مأتماً وعزاءً سار ذكره فى الآفاق ، وصارت مثلًا بين الناس ، ثم رجعت إلى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها إلى أن أمست ، فماتت إلى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ، ويدها ممدودة إلى الحائط نحو الصورة ، وقد كتبت عليها هذه الأبيات :

يا موت حسبك نفسى بعد سيدها ... خذها إليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهى إلى الرحمن مسلمةً ... ومتّ موت حبيب كان يعصيها

لعلها فى جنان الخلد يجمعها بمن تحب غداً فى البعث بارئها

قال الراهب : فشاع الخبر ، وحملها المسلمون ودفنت إلى جانب قبر الغلام (٣٤٥) . انتهى

ومن الأدلة أيضاً على اشتغالهم به ما نقش من أسمائهم على آثارهم المحفوظة بدور الآثار ، وما أثبته المؤرخون فى تراجم من ترجموهم منهم ، وما ذكر فى كتب الصناعات والحيل من شرح عمل التماثيل وصفة الاحتيال على تحريكها ، وقد تقدم نموذج منها فى فصل التماثيل المتحركة ، وما نظمه الشعراء فى وصفهم من المقاطيع ؛ كقول بعضهم فى رسّام ، وقد أورده الصفدىّ فى « جلوة المذاكرة ، وخلوة المحاضرة (٣٤٦) :

قلت لرسّامكمُ بك الفؤاد مغرم
قال متى أذيبه فقلت حين ترسم*

وقول برهان الدين الباعونى :

أفديه رسّاماً رشيق معاطف بجميع أوصاف الجمال قد اتّسم
رسم العذار وقد بدا فى خده أنى أموت به فمتّ كما رسم (٣٤٧)

وقول الصفدى فى رسام أيضاً :

أحببت ظبياً بالرسم مشتغلا وحسنه فاق فى ذوى الفهم
ألم يَرَوْا طرفه وصنعته فيعرفوه بالحدّ والرسم†

وقال فيه :

أحببت رسّامكم فذبت به واشتغل القلب منه واشتعلا
لا تنكروا قطّ لى ضنا جسدى فإن هذا برسمه عُملا (٣٤٩)

وقال فى نقاش :

أحببت نقّاش صاغة شهدت له بفرط المحاسن الحور
وصاد قلب الورى بناظره فجفنه كاسر ومكسور††(٣٥٠)

---

(*) فيه تورية بالرسم بمعنى الأمر ، ومنه مرسوم السلطان .
(†) فيه تورية بالحد والرسم عند المنطقيّين .
(††) لو قال : صاد قلوب الورى بناظره ، لكان أولى .

وقال فيه :

يا حسن نقاش كتمت صبابتى ... فى حبه لكن وجدى فاشى
إن كان عارضه يفسر لوعتى ... لا تنكروا التفسير للنقاش* (٣٥١)

وقال فى دهان :

ودهان أقول له ونفسى ... من الوجد المبرح لم أجدها
ملكت جميع حسن فى البرايا ... (فلو صورت نفسك لم تزدها)** (٣٥٢)

ولبعضهم فى دهان أيضاً :

فديتك أيها الدهان لِمْ ذا ... تصوّر فى دهانك ما دهانى
إذا انشقت سماء الحسن كانت ... خدودك وردة مثل الدهان† (٣٥٣)

وأنشد تاج الدين السبكى فى « طبقاته » لمنصور بن محمد الأزدى قاضى هراة :

طلع البنفسج زائراً أهلا به ... من وافد سر القلوب وزائر
فكأنما النقّاش قطّع لى به ... من أزرق الديباج صورة طائر†† (٣٥٤)

وغير ذلك مما لم تستحضره الذاكرة .

وذكر الخطيب البغدادى فى مقدمة « تاريخ مدينة السلام » شارعاً بها كان يسمى بشارع المصور (٣٥٥) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، ولا سبب نسبة الشارع إليه ، والظاهر أنه كان نابه الذكر ، لنبوغه فى فنه ، فاستحق بشهرته أن يعرف الشارع به ، دون غيره من ساكنيه .

---

(*) فيه تورية بتفسير القرآن الكريم المسمى « شفاء الصدور » لأبى بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقّاش الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ كما فى « الكامل » لابن الأثير .

(**) هذا الشطر مضمّن من قول أبى تمّام ؛ وعجزه : على ما فيك من كرم الطباع ؛ ويدل المقطوع على أنهم قد يريدون بالدهّان المصور .

(†) فيه اقتباس من قوله تعالى : « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » .

(††) فيه دليل على أنهم قد يريدون بالنقاش المصور ، وقد أوردهما ياقوت فى « إرشاد الأريب » منسوبين لقاضى هراة المذكور ، وروايته لصدر البيت الثانى : فكأنما النقاش صور وسطه فى أزرق الديباج ... الخ .

وكان بحلب سوق خاص بالمزوّقين ، ذكره القزوينى فى « آثار البلاد » ، وقال إن فيه آلات عجيبة مزوّقة ، وعده من عجائب هذه المدينة [٣٥٦] .

* * *

وها كم أسماء من عثرنا عليهم من مصورى العرب ملتقطة من عدة مصادر ، ومرتبة على حروف المعجم ، وعدتهم تسعة وثلاثون* ، بينهم من النوابغ الذين شهدت أخبارهم وآثارهم بتفوّقهم فى الفن : البصريون ، وابن الرزّاز ، وابن عزيز ، وابن العميد ، والقصير ، والكتامىّ ، والأمير عزّ الدين مسعود ، وبنو المعلّم ، والنازوك . والآخرون لم تفصح أخبارهم عن مبلغ قدرتهم الفنيه أو كانوا من المتوسطين . وقد ذكرنا بينهم بعض من برع فى ملحقات التصوير ، كالتذهيب و (التزميك) † . وعذرنا فى هذا التساهل ندرة العثور على أمثالهم بعد ضياع ما كتب عن ذوى الفنون وفنونهم .

أحمد بن إدريس القرافىّ : الفقيه العلامة أحد أئمة المالكية بمصر ، المتوفى بها سنة ٦٨٤ . كان ، مع تبحره فى عدة فنون ، من البارعين فى عمل التماثيل المتحرّكة فى الآلات الفلكية . وتقدم الكلام فى فصل التماثيل المتحركة على الآلة الفلكية التى عملها فى صورة « شمعدان » يتغير فيه لون الشمعة كل ساعة ، وصور به تمثال أسد تتغير عيناه كل ساعة إلى لون ، وتمثال رجل إصبعه فى أذنه يظهر وقت طلوع الفجر مشيراً إلى الأذان ؛ حكى ذلك عن نفسه فى شرحه « المحصول » [٣٥٧] ونقله عنه ابن طولون الصالحى فى رسالة « قطرات الدمع فيما ورد فى الشمع » .

أحمد بن على المصرى : الرسام . ولد بعد سنة ٧٥٠ ، وتوفى سنة ٨١٧ ، وعانى صناعة الرسم ، وتعاطى النظم مع عامّيّة شديدة ، ولكنه كان سهلا عليه ، وكان عند إنشاده الشعر كأنه يتكلم لعدم تكلفه ذلك . ترجمه السخاوى فى « الضوء اللامع » [٣٥٨] .

أحمد الواقع : من متأخرى المصورين ، له بدار الآثار العربية بالقاهرة لوح من

---

(*) هذا بعَدّ البصريين وبنى المعلّم شخصين ، لأنا لم نقف على عدد أفرادهم .

(†) كلمة مولدة يراد بها النقش والتزيين بالذهب والألوان .

القاشانى ، عليه صورة الكعبة المعظمة وبعض المشاهد بالحرم ، وعلى حواشيه مناثر وأبواب . عمله سنة ١٠٧٤ ونقش عليه اسمه[٣٥٩] .

أحمد بن يوسف بن هلال الحلبىّ : كان يصنع الأوضاع العجيبة ، وبرع فى النقش والتزميك والتذهيب ، وأولع بصنع الأوضاع المستحسنة فى الأوراق المذهبة[٣٦٠] . توفى سنة ٧٣٧ ، وقيل سنة ٧٣٨ .

بدر أبو يَعْلَى : من آثاره تَنُّور بدار الآثار العربية بالقاهرة ، منقوش نقشاً بديعاً رائعاً محكم رسوم الزخارف . وقد نقش عليه : «عمل المعلم بدر أبو يعلا فى شهور سنة ثلاثين وسبعمائة ، فرغ منه فى مدة أربعطشر يوم»[٣٦١] ، يريد أربعة عشر يوماً ، فجاء به هكذا لعاميته .

البصريون : ذكرهم المقريزى وذكر أنهم اشتركوا مع بنى المعلم فى تزويق جامع القرافة الذى جددته السيدة العربية «تغريد» أم الخليفة العزيز بالله الفاطمى سنة ٣٦٦ ، ويعلم من إطناب المقريزى فى وصف هذا التزويق أنهم كانوا من أساطين الفن[٣٦٢] .

أبو بكر بن محمد الجلومىّ الحلبىّ : ذكره صديقنا الأستاذ الجليل السيد محمد كرد على فى الجزء الرابع من « خطط الشام » (ص ١٣٠) وذكر براعته فى النقش ، عن « در الحبب فى تاريخ أعيان حلب » لابن الحنبلى[٣٦٣] ، فآثرنا نقل ترجمته برمتها من « در الحبب » ، ونصها : « أبو بكر بن أحمد النقاش الحلبى الجلومى ، شيخ مسن ، خدم أساتذة النقاشين من الأعاجم ، واستفاد منهم ، ومهر فى نقوش البيوت ، وكتابة الطرازات على طريق القاطع والمقطوع ، وفى نقوش ما كان لكفّال حلب وغيرهم من الرماح والسروج والذهب واللازورد ، مع معرفة طريقة حله ، وفى صنعة التركاش* وضعاً ونقشاً ، وصنعة اللوح الذى يكتب فيه ، وصنائع أخرى تتم عشرين صنعة ، وكانت له سلعة عظمى تناهز بطيخة بالقرب من كتفه ، سببها أنه طلب إلى آمد للنقش فى عمارة جددت بها ، فرافقه

(*) التركاش ، والأكثر فى الاستعمال التركش ، كلمة مولدة فارسية الأصل يريدون بها كنانة السهام .

نقاش شرقى شيمى ، فشعر باسمه ، فضربه على ظهره بخشبة ضرباً مبرحاً أمرضه مدة — وأدى إلى أن كانت له هذه السلعة ، ولما أسنّ هيأ له كفناً وقبراً ، وسألنى فى بيتين ينقشهما عليه ، فقلت :

أبو بكر النقاش أحوج سائل ... إلى رحمة تغضيه عن موجب الوزر
فيا أيها المجتاز نحو ضريحه ... تمهل قليلا داعياً لأبى بكر

ثم مات سنة سبعين بعد جلوسه فى بيته لتلاوة القرآن » . انتهى . وقوله سنة سبعين أى وتسعمائة .

أبو تُجْزَأَة : ممن كان يصنع الأصنام فى الجاهلية و يبيعها ، ذكره الأزرقى فى « أخبار مكة »[٣٦٤] ، والفاسى فى « شفاء الغرام »[٣٦٥] . ونظنه أبا تجزأة مولى شيبة بن عثمان الحجبى بالحلف ، المذكور فى «الإصابة» للحافظ بن حجر ، و «أخبار أم القرى» للفاكهى ومادة (ج ز أ) من « القاموس » وشرحه ، وإن كانوا لم يتعرضوا لصنعه الأصنام و بيعها فى الجاهلية . وقد ضبطه الحافظ بن حجر فى « الإصابة » بكسر المثناة وسكون الجيم ، وضبطه صاحب « القاموس » بضم التاء وسكون الجيم ، وزاد شارحه فتح الزاى . وليتنبه إلى أنه ورد محرفاً فى نسخة « الإصابة » المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٨ بأبى تجراة ، وفى نسخة « أخبار مكة » للأزرقى المطبوعة بليبسيك سنة ١٨٥٨ م بأبى تجارة .

جواد بن سليمان بن غالب اللخمىّ : برع فى النقش ورسم الهياكل المدورة فى المصاحف ، وبلغ الغاية فى نقش الخواتم ، وإجراء الميناء عليها ، وأتقن فنوناً أخرى كالزركشة والتطريز والنجارة والتطعيم[٣٦٦] . مات سنة ٧٥٦ .

حمدان الخرّاط : جاء فى « الأغانى » ما ملخصه أن رجلا بالبصرة ، كان يسمى بحمدان الخراط ، اتخذ جاماً لإنسان كان بشار بن برد عنده ؛ فسأله بشار أن يصنع له جاماً فيه صور طير تطير ، فصنعه له ، وجاءه به ، فقال له : كان ينبغى أن تصوّر فوق هذه الطير طائراً من الجوارح ، كأنه يريد صيدها ، فإنه كان أحسن ، فقال : لم أعلم ! قال : بلى علمت ، ولكن علمت أنى أعمى لا أبصر شيئاً ! وتهدّده بالهجاء ، فأوعده حمدان إن

هو مجاه أن يصوره صورة مخزية على باب داره ، حتى يراه الصادر والوارد ، فقال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمازحه ، وهو يأبى إلا الجد[٣٦٧] .

ابن الرَّزَّاز : هو أبو العز بن إسماعيل بن الرزاز الجزرى ، مؤلف كتاب « الحيل الجامع بين العلم والعمل » المتقدم ذكره . وقيل هو أبو العز إسماعيل ، وقيل كنيته أبو بكر ويلقب ببديع الزمان ، ولم نقف له على ترجمة نستقى منها أخباره فى الفن ، ولكن من يطالع كتابه هذا يعلم أنه كان من البارعين فى تصوير التماثيل المحركة بالحيل . وقد عثر علماء المشرقيات من الألمان على نسخة منه بإحدى خزائن القسطنطينية فوصفوه ، وترجموا منه فصولا إلى لغتهم على ما بلغنا[٣٦٨] .

شُعَيب بن محمد بن جعفر التونسىّ : برع فى التزميك وأتقن عدة فنون ، وتوفى سنة ٧٧٠[٣٦٩] .

عبد الرحمن بن أبى بكر الرسام : الدمشقى ، ويعرف بابن الحبّال . مات بدمشق فجأة سنة ٨٦١ ، ودفن بالصالحية[٣٧٠] .

عبد الرحمن بن على بن محمد الدهان : ويعرف بابن مفتاح ، كان يعانى صناعة الدهان ، ويتكسب منها[٣٧١] . توفى قريب سنة ٨٦٠ .

عبد الكريم الفاسى الشهير بالزريع : من متأخرى المصورين على القاشانى ، له قطع بدار الآثار ، عمل بعضها سنة ١١٧١ وكتب عليها اسمه[٣٧٢] .

عبد الله بن الحسن المصرىّ : كان من المزوقين فى العصر الفاطمى ، ولم نقف له على ترجمة ، وإنما عرفناه من كتابة بقبة المسجد الأقصى ، رآها السائح الهروى ، ونقلها فى كتابه « الإشارات فى معرفة الزيارات » نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله . نصر من الله وفتح لعبده ووليه* على أبى الحسن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين ،

(*) فى نسخة أخرى من « الإشارات » : نصر من الله لعبد الله ووليّه .

صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمل هذه القبة وإذهابها سيدنا الوزير الأجل صفى أمير المؤمنين وخالصته أبو القاسم على بن أحمد أيده الله ونصره فكمل* جميع ذلك† فى سلخ ذى القعدة سنة ست وعشرين وأربعمائة ، صنعة عبد الله بن الحسن المصرى المزوق »(٣٧٣) .

أبو العزّ : من المصورين على الخزف ، وجد اسمه مكتوباً على قطع مما عثروا عليه فى أطلال الفسطاط(٣٧٤) ، وقد شرحنا وصف هذا الخزف المصور فيما تقدم .

ابن عزيز : ذكره المقريزى فى خططه ، وهو من مصورى العصر الفاطمى ، استدعاه الوزير أبو محمد الحسن اليازورى†† ، الملقب بسيد الوزراء ، من العراق إلى مصر ؛ وكان هذا الوزير أحب ما إليه كتاب مصور ، أو النظر إلى صورة أو تزويق . وكان بمصر رجل من كبار المصورين ، يقال له القصير ، حمله الإعجاب بصنعته على أن يشتط فى أجرته ، وهو حقيق بذلك ، لأنه كان يعد فى التصوير كابن مقلة فى الخط ، ويعد ابن عزيز كابن البواب ، فاستدعى الوزير اليازورى ابن عزيز من العراق ليحارب القصير ، وكان كثيرا ما يحرض بينهما . واجتمعا يوماً بمجلسه ، فقال ابن عزيز : أنا أصور صورة إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط ؛ فقال القصير : وأنا أصورها ، فإذا رآها الناظر ظن أنها داخلة فى الحائط ، فقالوا : هذا أعجب . فأمرهما أن يصنعا ما وعدا به ، فصورا صورة راقصتين فى صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة فى الحائط ، وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط فصور القصير صورة راقصة بثياب بيض فى صورة حنيّة دهنها أسود ، كأنها داخلة فى صورة الحنية ؛ وصور ابن عزيز راقصة بثياب حمر فى صورة حنية صفراء ، كأنها بارزة من الحنية ، فاستحسن اليازورى ذلك ، وخلع عليهما ، ووهبهما كثيراً من الذهب(٣٧٥) .

على بن عبد القادر بن محمد النقاش : أخذ صناعة النقش عن زوج أمه وبرع فيها

---

(*) فى نسخة : وكمل .

(†) فى الأصل بالنسختين : إلى .

(††) نسبة إلى يازور بالمثناة التحتيّة فى أولها وهى بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين ينسب إليها الوزير المذكور ، وقد يتصحف بالبازورى بالموحدة فى بعض كتب التاريخ المطبوعة فليتنبه له .

وتكسب فى حانوت بالصاغة ، وتوفى سنة ٨٨٠[٣٧٦]

على بن محمد امكى : من المصورين على الزجاج ، له بدار الآثار مشكاة بديعة ، صور عليها إحدى الشارات المسماة بالرنوك وكتب عليها اسمه[٣٧٧] .

على بن مهمد : له بدار الآثار لوح من القاشانى عليه صورة محراب قائم على عمودين وقنديل معلق بأعلاه ، صوره سنة ٧١٦ وكتب عليه اسمه[٣٧٨] .

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد وزير ركن الدولة البُوَيْهِيّ ، والعميد لقب والده . وكان أبو الفضل محيطاً بعدة علوم ، بارعاً فى عدة فنون ، يعد من نوابغ المصوّرين فى عصره . وكانت وفاته سنة ٣٦٠ وقيل سنة ٣٥٩ . ترجمه ابن خلكان ترجمة حافلة[٣٧٩] ، وذكره ابن مسكويه فى «تجارب الأمم» فقال فى تعداد فضائله : « كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التى لا يدعيها أحد ، كعلوم الحيل التى يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجر الثقيل ومعرفة مراكز الأثقال ، وإخراج كثير — مما امتنع على القدماء — من القوة إلى الفعل ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون ، والحيل فى الحروب مثل ذلك ، واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيداً ، وتؤثر آثاراً عظيمة ، ومراء تحرق على مسافة بعيدة جدا ، ولطف كف لم يسمع بمثله ، ومعرفة بدقائق علم التصاوير ، وتعاطٍ له بديع ، ولقد رأيته يتناول من مجلسه الذى يخلو فيه بثقاته وأهل مؤانسته التفاحة ، وما يجرى مجراها ، فيعبث بها ساعة ، ثم يدحرجها وعليها صورة وجه ، وقد خطها بظفره ، لو تعمد لها غيره بالآلات المعدة ، وفى الأيام الكثيرة ما استوفى دقائقها ، ولا تأتى له مثلها »[٣٨٠] . انتهى .

قلنا وما نفق الأستاذ ابن العميد عند ركن الدولة ، وخطا الخطوة الأولى فى تسنم المراتب العالية إلا بفضل علم واحد من تلك العلوم ، وهو علم جرّ الثقيل ، ومعرفة مراكز الأثقال . قال ابن الصابئ : « إن ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى ، واختار له موضعاً وكانت فيه شجرة ذات استدارة عظيمة ، وعروق نازلة متشعبة ، فقدر لقلعها وإخراج عروقها جملة كثيرة ، ولم يقع فى نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطعاً ، فقال ابن العميد :

« أنا أكفى الأمير هذه الكلفة ، وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء ، وفى أقرب أمد وأقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة ، وقال من طريق الإزراء : افعل : فاستدعى حبالا وأوتاداً ، وسلك هذا المسلك المعروف فى جرّ الثقيل ، فلما رتب ما رتبه ، ونصب ما نصبه ، أقام نفراً قليلا حتى مدوا ، ومنع أن يقف أحد على جُرْبان* كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج أصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة فى موكبه ينظر ، فما راعهم إلا تزعزع الأرض ، وانفتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها ، وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها . فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ، ونظر إلى أبى الفضل بعين الجلالة . وهذا أمر لا يعظم عند من يعرف الحيلة فيه ، والطريق المقصود إليه »[٣٨١] . انتهى .

غزال : أحد المصورين على الخزف المتقدم ذكره ، وورد اسمه مكتوباً على بعض القطع[٣٨٢] .

الغيبى : أحد المصورين على الخزف أيضاً ، وقد ورد اسمه على بعض القطع « الغيبى الشامى » ، وعلى بعضها غُفْلاً من هذه النسبة[٣٨٣] .

فاضل بن على : رأيت له ترجمة فى الجزء السابع من « التذكرة الكمالية » لكمال الدين محمد الغزّىّ ، وهو عندى بخطه ، فآثرت إثباتها برمتها ؛ لأن صاحب « سلك الدرر[٣٨٤] » لم يتعرض لذكره ، وهى : « فاضل بن على بن عمر الظاهر الزيدانى الصفدى الأديب الأريب الناظم الناثر الشاعر المجيد المتفوق الأوحد ، ولد سنة أربع وسبعين ومائة وألف ، وجاء تاريخ ولادته † ، وقرأ على عبد الغنى بن †† الصفدى بصفد ، وعلى غيره ، وحفظ المتون . ولما قتل والده فى قصة طويلة ، أخذ مع إخوته وبنى عمه لدار السلطنة العلية القسطنطينية المحمية ، وأدخلوا السراى السلطانية ، وقرأ صاحب الترجمة هناك على جماعة كالعلامة مصطفى أفندى الحميدى ، وخليل أفندى القسطمونى ، والمنيب ،

---

(*) بضم فسكون جمع جريب بفتح فكسر وهو مقدار مساحة معروفة ، والمقصود أنه منع أن يقف أحد حول الشجرة فى المسافات التى قدرها .

(† و††) بياض بالأصل .

وعمر بن عبد السلام بن مرتضى الأزرنجانى ، وغزر فضله ، ونظم ونثر ما هو كعقد الجمان وسلك الدرر ، وتعلم اللغة التركية ومهر بها ، وترجم كتاباً فى الطب من العربية إلى التركية باسم مخدومه ، وصار له مهارة كلية فى التصوير والنقش وتجسيم البلاد والعباد ، وله فى ذلك العجب العجاب » . انتهى . ولعله على هذا لا يعد من مصورى العرب بالمعنى الذى قصدناه ، وإن كان عربى الأصل (٣٨٥) .

القصير : ذكره المقريزى فى « خططه » ، وهو معدود من نوابغ المصورين فى العصر الفاطمى بمصر ، اتصل بالوزير اليازورى وكان من المولعين بالفز المغالين فيه ، إلا أن إعجاب القصير بنفسه ، واشتطاطه فى الأجرة ، حمل الوزير على استدعاء ابن عزيز من العراق لمحاربته ، وقد تقدم فى ترجمة ابن عزيز ما كان من اجتماعهم بحضرة الوزير ، وتصوير القصير صورة راقصة بثياب بيضاء فى صورة حنية سوداء ترى كأنها داخلة فى الحنية . وتصوير ابن عزيز صورة بعكسها ترى الراقصة فيها كأنها بارزة من الحنية ، ولا يخفى ما يستدعيه هذا العمل من البراعة الفنية (٣٨٦) .

الكتامىّ : ذكره المقريزى ، وهو من نوابغ المصورين بمصر أيضاً ، وكان من تلاميذ بنى المعلم . ومن آياته فى فنه صورة كانت بدار النعمان بالقرافة ، صور فيها يوسف عليه السلام فى الجب وهو عريان ، والجب كله أسود ، إذا نظره الإنسان ظن أن جسمه باب* من دهن لون الجب (٣٨٧) .

محمد بن حسن الموصلى : له بدار الآثار منارة من صفر محلاة بالذهب والفضة ، عليها كتابة بالقلم الكوفى ، وصور آدميين وصنوف من الحيوان ، نقشها سنة ٦٦٨ ونقش عليها اسمه (٣٨٨) .

محمد الدمشقى : له بدار الآثار لوح من القاشانى عليه صورة مكة المكرمة والكعبة المعظمة ، صورهما سنة ١١٣٩ ، وكتب عليهما اسمه (٣٨٩) .

---

(*) كذا فى نسخة « الخطط » البولاقية ، والذى فى نسخة عندنا مخطوطة (ناتى) ولعل الصواب (ناتئ) أى بارز ، وليحقق .

**محمد بن سنقر البغدادىّ** : له بدار الآثار كرسى من صفر ، عمله للناصر محمد ابن قلاوون ، وحلاه بالنقوش البديعة ، وصور عليه صوراً من البط ، ونقش عليه هذه العبارة : « عمل العبد الفقير الراجى عفو ربه ، والمعترف بذنبه ، الأستاذ محمد بن سنقر البغدادىّ السنانىّ ، وذلك فى تاريخ سنة ثمانية * وعشرين وسبعمائة فى أيام مولانا الملك الناصر عز نصره »[٣٩٠] . وقد تقدم فى فصل التصوير على الأثاث ذكر هذا الكرسى ، وأنه صور عليه البط ، إشارة إلى اسم قلاوون ؛ لأنه بهذا المعنى فى التركية القديمة .

**محمد بن على بن عمر** : المعروف بشمس الدين الدهان ، لمعاناته هذه الصناعة ، وكان ملماً بصناعات أخرى[٣٩١] ، هجاه جمال الدين الصوفىّ ببيتين يدلّان على أنه كان يصوّر الناس ، تركت ذكرهما لما فيهما من البذاءة . وكانت وفاته سنة ٧٢١ ؛ وفى كونه كان يصوّر الناس دليل على أنهم قد يطلقون الدهّان على المصوّر كما تقدم .

**محمد بن محمد بن أحمد** : شمس الدين الرسام ، تميّز فى صناعته ، وبرع فى غيرها كالتذهيب وعمل المزهرات ، وقص الورق و إلصاق الصينىّ[٣٩٢] ، وكان موجوداً سنة ٨٨٥ . وصناعة قص الورق التى تميّز فيها هذا الرسام ، فوق تميزه فى فنه ، لم تكن من الهنات الهيّنات كما يتبادر ؛ بل كانت من الصناعات الدقيقة المعدودة من أعاجيب أرباب الفنون؛ لأنها عبارة عن الكتابة فى الورق بالقصّ. وكان جواد بن سليمان المتقدم ذكره من البارعين فيها ، كما فى « المنهل الصافى » لابن تغرى بردى ، وقد نقل عن الصفدىّ أنه كتب مرة لامية العجم قصاً فى غاية الحسن ، وكان صديقاً للصفدى . وأنشد المَقَّرى فى « نفح الطيب » لحميد بن عبد الله الأنصارى القرطبىّ فيمن يكتب فى الورق بالقص ، قال وهو عجيب :

وكاتب وشى طرسه حِبَرٌ ... لم يَشِها حبره ولا قلمُه
لكن بمقراضه ينمنمها ... نمنمة الروض جاده رِهَمُه†
يوجد بالقطع أحرفاً عدمت ... فاعجب لشىء وجوده عدمه[٣٩٣]

**محمد بن محمد بن عيسى القاهرىّ** : كان موجوداً سنة ٨٩٥ ، وتدرب فى التذهيب

(*) الصواب ثمان .

(†) الرهم بكسر ففتح جمع رهمه بكسر فسكون ، وهى المطر الضعيف الدائم الصغير القطر .

على ابن السداد ، وفى شطف اللازورد على ظهير العجمى ، وبرع فى فنون أخرى[٣٩٤] .

محمود السفيانىّ : من المصورين على الصفر . له بدار الآثار تنور عليه رسوم ، وكتب عليه « عمل الحاج محمود الضراب فى النحاس يعرف بالسفيانى »[٣٩٥] .

مرشد بن محمد : المعروف بابن المصرى ، أجاد فى صناعة التذهيب وغيرها[٣٩٦] . وكان موجوداً سنة ٨٩٤ .

الأمير مسعود : الملقب بعز الدين صاحب الموصل وحلب ، ابن الأمير سيف الدين قسيم الدولة آقسنقر البرسقى ، ترجمه ابن الفرات فى وفيات سنة ٥٢١ من تاريخه . فذكر أنه كان من أذكى الناس ، وكان ذا فكر دقيق فى القص والتصوير والتزويق ، لا يلحقه أحد فى ذلك .

وذكر فى حوادث هذه السنة أن مملوكا للسلطان محمود ، أى السلجوقى ، وصل حلب بتوقيع من الأمير عز الدين مسعود ، يأمر فيه نائبه بحلب بتسليمها إليه ، فلم يقبل النائب واحتج بعلامة بينه وبين الأمير مسعود ، لم يتضمنها التوقيع قال : « وكانت العلامة بينهما صورة غزال ؛ لأن الأمير عز الدين كان أحسن الناس نقوشاً وتصاوير ، وكان مفرط الذكاء » . فعاد المملوك إلى الأمير عز الدين فوجده قد مات .

بنو المعلم : من مصورى العصر الفاطمىّ بمصر . ذكرهم المقريزىّ وقال إنهم شيوخ الكتامىّ والنازوك فى الفن ، وذكر من آثارهم تزويق جامع القرافة ، ووصف من أعمالهم فيه تصويرهم على قنطرة قوسٍ شاذروانًا مدرّجاً بدرج وآلات سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر ؛ إذا تطلع إليها من وقف فى سهم قوسها رافعاً رأسه إليها ظنّ أن المدرّج المزوّق كأنه خشب مُقَرْنَص* ، وإذا أتى إلى أحد قطرى القوس نصف الدائرة ، ووقف

(*) المقرنص نوع من الصناعة فى الحجر والخشب . يتخذ فى زوايا السقوف وعقود الأبواب ، فيه دخول وبروز ، وقد ورد بالنون فيما اطلعنا عليه ، وهو المشهور أيضاً على الألسنة إلى الآن ، ولعله مأخوذ من قولهم : قرنص البازى إذا ربطه ليسقط ريشه ؛ لأنه يكون فى هذه الحالة متجمعاً منكمشاً منفّش الريش لذلته وتبرّمه من ربطه . وقد رأيناه بالفاء بدل النون فى عبارة واحدة ، وهى للذهبى ، نقلها عنه ابن مفلح فى كنّاش له عندنا بخطه ، ويكون له على هذا من قرفصته إذا جمعه وشدّه وجعله على هيئة المتجمع القاعد القرفصاء ، ثم حرف فى الألسنة إلى المقرنص بالنون . والأظهر الأول ، ولا نظن هذه الفاء إلا سبق قلم من ابن المفلح .

عند أول القوس منها ، ورفع رأسه رأى ذلك الذى توهمه مسطحاً لا نتوء فيه . قال : وهذه من أفخر الصنائع عند المزوّقين ، وكان الصنّاع يأتون إلى هذه القنطرة ليعملوا مثلها ، فلا يقدرون ، وأن البصريين اشتركوا مع بنى المعلم فى تزويق الجامع ، ولكن القنطرة من عمل هؤلاء[٣٩٧] . قلنا : وحسبهم فخراً أن يكون من تلاميذهم الكتامىّ المتقدم ذكره . وذكر صورة يوسف عليه السلام التى صورها .

موسى بن عبد الغفار السميدسىّ : كان موجوداً سنة ٨٧٠ وعانى التذهيب ، فبرع فى صناعته ، وصار أحد من عليهم المعوّل[٣٩٨] .

النازوك : ذكره المقريزى فى كلامه على بنى المعلم ، فعرفهم بأنهم شيوخ الكتامى والنازوك ، ولم يذكر له أثراً يستدلّ منه على براعته فى الفن كما فعل بالكتامىّ ، إلا أنّ تعريفه بنى المعلّم بأنهم شيوخ هذين المصوّرين مع ما ذكره لهم وللكتامىّ من التفوّق الفنّىّ يدل على أنه كان من كبار المصوّرين المعروفين . وقد ورد اسمه بالنون والزاى والكاف فى آخره فى نسخ « الخطط » التى اطلعنا عليها .

الهرمزىّ : أحد المصوّرين على الخزف . وله قطع بدار الآثار عليها اسمه[٣٩٩] .

يوسف الباهلىّ : تقدّم أننا رأينا اسمه منقوشاً بالقلم الكوفىّ على صورة حجر من الشطرنج مرسوم فى كتاب فى الشطرنج بالفرنسية[٤٠٠] ، وهو على صورة فيل عليه ملك يحف به الجند من مشاة وفرسان ومكتوب عليه : (من عمل يوسف الباهلىّ) . وذكر مؤلف الكتاب أنه قطعة من أحجار الشطرنج الذى أهداه الخليفة هارون الرشيد لشارلمان[٤٠١] .

---

تم الكتاب